Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كنت مرة أثناء الحرب العالمية الثانية في طريقي مع جدي إلى الطاحونة النهرية، فحاذينا في طريقنا جبانة القرية فسألته لماذا ينفق الأغنياء على قبورهم فيعلونها والدنيا حرب والغلاء يكوي الناس؟ فقال: علوا قبورهم ليخفوا ذنوبهم. ولم أفهم فشرح لي أن الأغنياء يلهون العابرين بفخامة القبور عن فظيع الجرائم. وراح يعدد أسماء القبور الكبيرة وينشر فضائحهم وأنهى شرحه بقوله: لو كان الفقير قادراً على الأذى لأعلى قبره مثلهم.

كلما قرأت عن الرومان تذكرت مشواري إلى الطاحونة وكلمات جدي. إن الرومان يمثلون محدثي النعمة في أوج قوتهم، لذلك مالوا إلى التطرف في كل شيء وبالغوا في كل شيء وأطلقوا عقال الوحوش النائمة في الأعماق. قصورهم ضخمة وقبورهم فخمة وحروبهم مدمرة وأعمدتهم شاهقة تستولي على الإعجاب وتنسينا ما خلفوه من دمار، فقد كانوا أساتذة في فلسفة حداثة النعمة.

روما التي استولت على العالم وتحكمت فيه غيرت كل المفاهيم التي أرساها اليونان سابقاً. فاعرف نفسك صارت أعرف خصمك ولاتتطرف صارت غامرحتى تفوز والصلاح مستحيل صارت الصلاح يفرض فرضاً بمشيئتك ما دمت قوياً. وتحول الحق إلى سلطة والجمال إلى منفعة والخير إلى استيلاء، بل كانوا لايرون الخير إلا في الفتوحات والاستيلاء وإخضاع الغير، فاجتمعت خيرات العالم في روما.

الأدب الروماني لايستطيع -وهو وارث التقليد اليوناني- أن يسكت عما يجري ولكنه في الوقت نفسه لايستطيع إعلان ذلك ولاالتصدي لهذه الصيغة الجديدة للحياة التي فرضها محدثو النعمة، الذين أعادوا المقدسات الشرقية إلى العمل وادخلوها في صلب صيغتهم الجديدة.